



مكة حرسها الله تعالى - ١٤٤٥ هـ

وظائف الليل وأوراد العبادات فيه

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



alwadei967.blogspot.com



[telegram.me/alwad3ya](https://t.me/alwad3ya)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله ونبيه محمد الأمين،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

مرحباً بكن وأهلاً وسهلاً، ونسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يجعلنا من ضمن السبعة
الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وقد ذُكر منهم في الحديث:
«وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»^(١)، فحياكن الله جميعاً.

أيها الأخوات إن الله خلق الليل والنهار؛ تذكرة واتعازاً، يقول الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا
وَقَمَرًا مُنِيرًا ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ
شُكُورًا ۝﴾ [الفرقان].

افتتح **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هاتين الآيتين بـ ﴿تَبَارَكَ﴾ أي: أنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خيره وبركاته
كثيرة، وإحسانه كثير إلى خلقه، كما أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة الفرقان كرر لفظ
﴿تَبَارَكَ﴾ في ثلاثة مواضع:

(١) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ وقال

سُبْحَانَهُ: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ۝١٠ ﴾.

وفي قوله: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾.

والبروج: النجوم، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝٢ ﴾ [البروج].

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا ﴾ السراج الشمس^(٢)، فيها نور مع حرارة، كما قال

تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾ [يونس].

هو الذي جعل الشمس ضياءً جاء بلفظ ضياء؛ لأن فيه حرارة، وكما في

الحديث عن النبي ﷺ: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»

(٣).

(٢) الشمس: كوكب نهاري ينسخ ظهوره وجود الليل.

القمر: كوكب ليلي يُضَعِف وجوده ضوء غيره من النجوم.

يراجع «حاشية الهجري على شرح الفاكهي» (٢٠٣/١).

(٣) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا» رواه مسلم (٢٢٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في «شرح الأربعين النووية» (٢٢٥): لم يقل:

إنه-الصبر-نور، والصلاة قال: إنها نور؛ وذلك لأن الضياء فيه حرارة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ [يونس: ٥] ففيه حرارة، والصبر فيه حرارة ومرارة؛ لأنه شاق على الإنسان، ولهذا جعل الصلاة نورًا، وجعل الصبر ضياءً؛ لما يلابسه من المشقة والمعاناة. اهـ.

﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ والقمر فيه نور من غير حرارة.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ خلفة: أي يخلف هذا هذا، فالليل

يخلفه النهار، والنهار يخلفه الليل، يتعاقبان ولا يجتمعان، ولا يسبق أحدهما

الآخر، قال سبحانه: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ

وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا

وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا^٢ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّلَهَا^٣ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا^٤﴾ [الشمس: ١].

وما هو الحكمة من تعاقب الليل والنهار؟

قال سبحانه وتعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ﴿٦٢﴾ الله سبحانه وتعالى جعل

هاتين الآيتين العظيمتين الليل والنهار ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا

﴾، أي: لمن أراد اتعاظًا وتذكيرًا وشكورًا.

وأيضًا فيها عظة وهو التذكير بأن هذه المخلوقات إلى الفناء لا الدوام.

(وأيضا فإن القلوب تتقلب وتتقل في ساعات الليل والنهار، فيحدث لها النشاط والكسل، والذكر والغفلة، والقبض والبسط، والإقبال والإعراض. فجعل الله الليل والنهار يتوالى على العباد ويتكرران؛ ليحدث لهم الذكر والنشاط والشكر لله في وقت آخر.

ولأن أوراد العبادات تتكرر بتكرر الليل والنهار، فكما^(٤) تكررت الأوقات أحدث للعبد همة غير همته التي كسلت في الوقت المتقدم، فزاد في تذكرها وشكرها.

فوظائف الطاعات بمنزلة سقي الإيمان الذي يمدّه، فلو لا ذلك لذوى غرس الإيمان ويبس. فله أتم حمد وأكمل على ذلك^(٥). هذه الآيات العظام دالة على عظم الخالق، ودالة على علم الله الشامل وقدرته وإحاطته بكل شيء.

ودالة على توحيد الله وأنه المستحق للعبادة لا شريك له.

ومن حكمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن آية الليل ظلمة وآية النهار مبصرة، قال **سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**

(٤) لعله فكلميا.

(٥) ما بين القوسين من «تفسير السعدي» (٥٨٦).

لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ [الإسراء: ١٢].

فالليل ظلمة مناسبة للسكون والراحة، والنهار منير مضيء؛ مناسب لمصلحة العباد في معاشهم وأعمالهم، (وَلَوْ كَانَ الزَّمَنُ كُلُّهُ لَيْلًا لَّصُعَبَ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ فِي مَعَاشِهِمْ، وَلَوْ كَانَ كُلُّهُ نَهَارًا لَأَهْلَكَهُمُ التَّعَبُ مِنْ دَوَامِ الْعَمَلِ) ^(٦).
كما أن الله سبحانه جعل الليل سكناً، أي: سكوناً عن الحركة وعن العمل، قال سبحانه: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ [الأنعام: ٩٦].

أي: تسكنون فيه وترتاحون من تعب العمل ومن الكد.
وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَوْ لَظْلَامٍ تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَظْلَامٍ تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ [القصص: ٧٢].

فالليل سكن للعباد وراحة لهم، والنهار يسعون فيه، ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾، ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ [النبا: ١١].

(٦) ما بين القوسين من «أضواء البيان».

قال القرطبي في «تفسيره» (٣٦/٨): ﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ أي: مع أزواجكم وأولادكم؛ لِيُزُولَ التَّعَبُ وَالْكَلالُ بِكُمْ. وَالسُّكُونُ: الْهُدُوءُ عَنِ الْاضْطِرَابِ.

وهذا من ثمار الليل ونعم الله علينا فيه، حتى إن الشاعر يقول:
وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدِي مِنْ يَدٍ * تُخْبِرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ
المانوية: طائفة يرون أن الظلمة تخلق الشر، والضوء يخلق الخير.

كما أن المرأة سكن لزوجها، والزوج سكن لزوجته، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

إن هذا موطن تفكر واعتبار أن الله سبحانه وتعالى جعل الزوجين سكناً للآخر، حتى إنه قيل: لَا يَسْكُنُ شَيْءٌ كَسُكُونِ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ إِلَى الْآخَرِ.

يعني: أنس يجعله الله سبحانه وتعالى بين الزوجين، لا نظير له في مجالسة الباقيين من الأهل والأولاد والعشيرة.

إذا الليل سكن للعباد، والزوجان كل واحد منهما سكن للآخر. ووصف الليل بأنه سكن يدل على أن الناس يكونون في الليل في بيوتهم، يسكنون فيها.

كما جعل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الليل لباسًا، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝١﴾

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝٢ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝٣﴾ [النبا].

هذا امتنان من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على خلقه بثلاثة أمور:

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝١﴾ النوم من أعظم نعم الله، ولا يتركه إلا من

كان به علة، إلا من كان مبتلى، و﴿سُبَاتًا﴾ أي: راحة لكم وقطعًا للأعمال،

فيستعيد الجسم بالنوم نشاطه (٧).

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝٢﴾ أي: يغشى الناس بظلامه، يغشى كل من على

الأرض بظلامه، حتى إن من أراد أن يستتر عن أعين الناس في خروج له أو

دخول ينتظر إلى الليل؛ لأنه أستر.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝٣﴾ أي: للمعيشة والاكتساب، وهذه الآية تفسر

النشور في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ۝٤٧﴾، فالقرآن يفسر بعضه

بعضًا.

فمن أوصاف الليل أنه لباس ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝٢﴾.

(٧) قال الشنقيطي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «أضواء البيان»: أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالسُّبَاتِ: الرَّاحَةُ مِنْ تَعَبِ الْعَمَلِ بِالنَّهَارِ؛ لِأَنَّ النَّوْمَ يَقْطَعُ الْعَمَلَ النَّهَارِيَّ، فَيَنْقَطِعُ بِهِ التَّعَبُ، وَتَحْصُلُ الْإِسْتِرَاحَةُ.

كما أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** جعل الزوج لباساً للزوجة، والزوجة لباساً للزوج، فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وهو بمعنى: سكن، أي: سكن لكم وأنتم سكن لهن ^(٨).

فينبغي أن تُعرف الأحكام الزوجية، وأن يُعرف أن المرأة سكن لزوجها وزوجها سكن لها، لباس؛ وبذلك تقوم الحياة الزوجية على الاحترام والتقدير، وتأدية الحقوق من كلا الطرفين.

أيها الأخوات إن الليل ليس معناه أنه إذا دخل انتهت العبادة والأوراد، الليل ذو شأن عظيم؛ لهذا كان فيه أمور عظام:

منها: شق القمر، قال الله **سُبْحَانَهُ**: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ^(٩) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ [القمر]. وفي «الصحاحين» ^(٩) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اشْهَدُوا».

(٨) وقال بعضهم: سُمِّيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الزَّوْجَيْنِ لِبَاسًا؛ لِتَجَرُّدِهِمَا عِنْدَ النَّوْمِ وَاجْتِنَاعِهِمَا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، حَتَّى يَصِيرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ كَالثَّوْبِ الَّذِي يَلْبَسُهُ.

(٩) أخرجه البخاري (٤٨٦٤)، ومسلم (٢٨٠٠).

هذه معجزة من معجزات النبي ﷺ، وأنه مرسل من عند الله

عَزَّجَلَّ؛ لأن الله عَزَّجَلَّ يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الدالة على صدقهم، فهذه

معجزة للنبي ﷺ.

ومن الآيات العظام: أنه أُسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى

ليلاً، قال سبحانه: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى

الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾

[الإسراء].

سبحان الله أي: تنزهه وتقدس.

والإسراء بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى ليلاً يدل على شرف

المسجد القدس وفضله.

هذا الذي يُتتهك ما بين الحين والآخر حرماته، ويقتل الأبرياء من

الأطفال والنساء والرجال وكبار السن، وتتهك الأعراس، ونسأل الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يدمر أعداءه وأن يكسر شوكتهم.

وتأخير الانتقام والانتصار لأوليائه هذا لحكمة يعلمها الله، فإن الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾ [النساء: ١٧].

الحكيم هو: الذي يضع أشياء في مواضعها.

والله قادر أن يرسل عليهم جنداً من جنوده، إما بعوض تهلكهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدر: ٣١]. بعوض أو ريح، أو فيضانات، أو أمطار تأخذهم عن بكرة أبيهم، فالله قادر أن يرسل عليهم جنداً تقتلعهم وتستأصلهم، ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُمِهُلُ، الله يُمِهُلُ ولا يُمِهُلُ، فإذا أخذ عدوه أخذه أخذ عزيز مقتدر، فالله عَزَّوَجَلَّ لهم بالمرصاد، ولكنه يؤخر لحكمة يعلمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والحمد لله على كل حال، ومع ذلك لا يزال المسلمون ينتظرون النصر من عند الله عَزَّوَجَلَّ، ونزول الفرج من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ [الشرح].

ونسأل الله أن يكشف عن المسلمين في فلسطين الضر، وأن يفرج كربهم وسائر المسلمين المنكوبين في كل مكان.

ولنعلم أن الله أرحم بالخلق من أمهاتهم ومن أنفسهم، فينبغي أن نحذر من الانشغال عن العبادة، وعن الاستمرار في شؤوننا، في عبادتنا، في طلبنا للعلم؛ فإن هذا لا ينفع، إذا شغلنا وصرفنا هذا يضر ولا ينفع، ولكن علينا بالدعاء والاستقامة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

[محمد: ٧]، هذا الذي ينفع ويتحقق به النصر.

وبعض النساء مُفَرِّطات في متابعة الأخبار، وفي النظر في الحالات والصور التي تفتت الفؤاد، التي تتابع الصور يفتت فؤادها، وتضعف نفسيته، والأمر بيد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهو قادر أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر في طرفة عين ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

ومن كلام والدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** في درسٍ لنا: احمدا الله أنكم لا تنظرون إلى التلفازات والشاشات، فالذين يتابعون بواسطة هذه الصور يقلقون، ربما أحدهم لا يذوق النوم. أو بهذا المعنى.

فيصيرون في حرب نفسي، مع أنه الآن الجوالات والأجهزة الحديثة قائمة بهذا الدَّورِ كالتلفازات أو أشد! فكونوا على حذر.

وهم إخواننا نسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يفرج عنهم، وأن يكسر شوكة الأعداء في كل مكان، فهم يتربصون بالمسلمين.

فمن الأمور العظام كما سمعت أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أسري به إلى المسجد الأقصى، وأصبح بمكة بين ظهري قريش، فقص القصة التي حصلت له **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأخبر بمسراه، فجعل كفار قريش يسخرون منه ويتضحكون، ثم طلبوا منه أن يأتي بالوصف؛ لأنهم يعلمون أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ما سافر

إلى بيت المقدس، فكان هذا السؤال تعجيزيًا منهم، لكنه مؤيد من عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، قال: فجعلت أصف لهم بيت المقدس وغابت عني أشياء، فجلى الله لي بيت المقدس! قال: **«فَذَهَبْتُ أَنْعْتُ فَمَا زِلْتُ أَنْعْتُ حَتَّى التَّبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ»**، فقالوا: أما الوصف فقد جاء به على وجهه ^(١٠).

ولكنهم معاندون ومكابرون لم تنفعهم هذه المعجزة.
فعلى كل حال الليل زمن شريف وخاصة الثلث الأخير منه.

(١٠) فعن جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: **«لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحَجْرِ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»** رواه البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠).
وروى الامام أحمد (٢٨١٩) عن ابن عباس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِي بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، فَطَعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِي، فَقَعَدْتُ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، قَالَ: فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَأَلَمْ تَسْتَهْزِئْ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «نَعَمْ» قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: «إِنَّهُ أُسْرِي بِي اللَّيْلَةَ» قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟» قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَلَمْ يَرِ أَنَّهُ يَكْذِبُهُ، خَافَهُ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمُهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ مُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «نَعَمْ». فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ حَتَّى قَالَ: فَانْتَقَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهَا، قَالَ: حَدَّثْتُ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنِّي أُسْرِي بِي اللَّيْلَةَ»، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ»، قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانِنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفَّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ؛ مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ رَعَمَ، قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْتَعْتَ لَنَا الْمُسْجِدَ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ، وَرَأَى الْمُسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **«فَذَهَبْتُ أَنْعْتُ فَمَا زِلْتُ أَنْعْتُ حَتَّى التَّبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ»**، قَالَ: **«فَجِئْتُ بِالْمُسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وَضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عَقِيلٍ فَنَعْتُهُ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»**، قَالَ: **«وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتُ لَمْ أَحْفَظْهُ»** قَالَ: فَقَالَ الْقَوْمُ: **«أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ»**.**

ومما وقع فيه: أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أمر نبيه لوطاً **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن يسري بأهله ليلاً إلا امرأته، كما قال **سُبْحَانَهُ**: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝٨١﴾ [هود].

فسار نبي الله لوط بأهله ليلاً إلا امرأته كانت شقية، فهلكت فيمن هلك صباحاً، ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝٨١﴾ [هود]. ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ۝٣٨﴾ [القمر: ٣٨].

وسار نبي الله موسى بأهله ليلاً لما قضى الأجل ثماني حجج أو عشرًا ﴿فَإِنْ أَتَمَّمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ۝٢٧﴾ [القصص: ٢٧]، قال **سُبْحَانَهُ**: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٩١﴾ [القصص].

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ۝٩١﴾ أي: قال لأهله لما رأى نارا: ابقوا؛ حتى أذهب وأنظر، ﴿لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ كان يريد أن يعرف الطرق، فقد ضلَّ عن الطريق كما جاء في سورة طه: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا

لَعَلَّ آتِيَكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٧﴾ ﴿١٦﴾ أي: هادٍ يهديني إلى الطريق التي أريد. ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ أي: تدفؤون.

وأمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** موسى لما غلب بالحجة فرعون وآمن به السحرة، أمر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** نبيه موسى أن يسافر بمن معه ليلاً، قال **سُبْحَانَهُ**: ﴿فَأَسْرِ بِعَبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ هَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴿[الدخان].

وهذا نستفيد منه من الأحكام: السفر في الليل^(١١)، وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «عَلَيْكُمْ بِاللُّجَةِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ» رواه أبو داود (٢٥٧١)، عَنْ أَنَسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وقوله: «بِاللُّجَةِ»، أي: السير في الليل. «فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ» تقرب فيه المسافة، يعني: بركة من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سفر الليل.

فعلمنا بارك الله فيكن أن الليل وقع فيه آيات عظام، وأنه وقت مسرى بعض أنبياء الله.

(١١) قال الحافظ ابن حجر **رَحِمَهُ اللَّهُ** في فوائد حديث الإسراء من «فتح الباري» (٢١٧/٧): فِيهِ فَضْلُ السَّيْرِ بِاللَّيْلِ عَلَى السَّيْرِ بِالنَّهَارِ؛ لِمَا وَقَعَ مِنَ الْإِسْرَاءِ بِاللَّيْلِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَكْثَرُ عِبَادَتِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِاللَّيْلِ، وَكَانَ أَكْثَرُ سَفَرِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بِاللَّيْلِ.

وهذا دليل على أنه ليس معناه إذا جاء الليل انتهت العبادة، وانتهت المصالح، وانتهت أوراد العبادات والطاعات، فالليل له أوراد عبادات وطاعات، فلا تسر في ركاب الغافلين.

ومن تلك العبادات:

قراءة القرآن الكريم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٤].

آناء الليل أي: ساعات الليل، فالليل ينبغي أن يكون لنا ورد فيه من القرآن الكريم.

ونبينا محمد ﷺ كان يدارسه جبريل كل ليلة في رمضان، روى البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ». وهذا يدل على تدارس القرآن في الليل لا سيما في رمضان.

القرآن الكريم الذي من أقبل عليه سعد وفاز، من أقبل عليه فقد ربح ربًا عظيمًا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ ۖ ﴿٣٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۖ ﴿٤٠﴾ ﴾ [فاطر].

فهذا من أوراد الليل قراءة القرآن الكريم.

ومن أوراد العبادات في الليل: الدعاء، وخاصة في الثلث الأخير من الليل، النبي ﷺ يقول: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُّسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ» رواه مسلم (٧٥٧) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ويقول النبي ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ» (١٢).

يرفع المسلم وترفع المسلمة الحوائج إلى رب العباد وخالقهم ورازقهم ومعبودهم، تدعو المرأة ربها، وتسأله الجنة والنجاة من النار، وقد تصادف ساعة إجابة فيستجاب لها، هذا تحفيز للاهتمام بالدعاء، وما أضعفنا وأشد فقرنا إلى ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!

(١٢) رواه الترمذي (٣٥٧٩) عن عمرو بن عَبَسَةَ، وذكره والدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحیح المسند» (١٠١٥).

فينبغي اللجوء إلى الله سبحانه، وعدم التفریط، والتكاسل، والإقبال على الدعاء وخاصة الثلث الأخير، فهذا فيه فضل عظيم.

ومنها: قيام الليل، هذا من أوراد العبادات في الليل.

قيام الليل شعار الصالحين، ودأب المتقين، ولا يفوت إلا المحرومين، نعوذ بالله من الحرمان، قال سبحانه: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقَتْهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ [١٦] ﴿السجدة﴾. وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ [الفرقان]. سجود وقيام من صفات عباد الرحمن، ومن صفات المحسنين ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [١٧] ﴿وَبِالْآسَاطِيرِ لَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

إن قيام الليل من أعظم أبواب الخير، ففيه عون على القوة والنشاط، ومن أسباب انشراح الصدر، روى البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ».

هذا الحديث يذكره أهل العلم في فضل قيام الليل، وأن فيه خاصية تجلب القوة والنشاط، وانشرح الصدر.

كما ينبغي قراءة القرآن في صلاة الليل، ومراجعة المحفوظات من القرآن؛ لأن هذا عبادة عظيمة، ولأنه من أسباب التثبيت.

روى الإمام مسلم (٧٨٩) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ» (١٣).

فهذا عون-أيها السامعات-على تثبيت القرآن في الصدر، سرده قراءة بالليل والنهار، وخاصة القيام به في صلاة الليل.

وقيام الليل من أسباب دخول الجنة والفوز بها والنجاة من النار، ومن أسباب دفع الفتن والمصائب، روى البخاري (١١٥) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحَجَرِ، قُرْبَ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا، عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ».

«عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ» أي: عارية في الآخرة من ثواب الله سُبْحَانَهُ.

(١٣) وأصله رواه البخاري (٥٠٣١)، ومسلم (٧٨٩) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ».

ومن أوراد العبادات في الليل: الاستغفار، ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١٨)،

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (١٧) [آل عمران: ١٧].

الاستغفار من أسباب محو الذنوب، وما أكثر ذنوبنا!

وإذا استغفرنا الله وطلبنا منه المغفرة تُحَى ذُنُوبُنَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وتكفّر عنا

سيئاتنا، وهذا فيه التشجيع والترغيب على الاستغفار في آخر الليل، فأكثرن من

الاستغفار، «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»، وهكذا في

سجودك وفي ركوعك، وفي مشيك إذا مشيت، قد تحتاجين للمشي في الليل في

بيتك لغرضٍ ولبعض الحوائج، فاستغلي المشي بالاستغفار.

ومن أوراد العبادات والطاعات في الليل: التسييح والتحميد، قال

سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ

ءَانَايَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (١٣٠) [طه: ١٣٠].

﴿وَمِنْ ءَانَايَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ أي: من ساعات الليل فسبح، قل: سبحان الله،

﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ هذه صلاة الظهر، كما في «تفسير البغوي».

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ أي: ترضى بثواب الله سُبْحَانَهُ وبنعيمه وبما تقربه عينك.

إذا الإقبال على التسييح سبحان الله وأخواتها (سبحان الله، والحمد لله،

ولا إله إلا الله، والله أكبر) من أوراد الليل، كما أنها من أوراد النهار.

وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في مطلع هذه الآية: ﴿ **فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ** ﴾ **حث الله** **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** نبيه على الصبر، ثم أرشده إلى ما يعينه على الصبر وهو التسبيح، ﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ** ﴾ أي: صلاة الفجر، ﴿ **وَقَبْلَ غُرُوبِهَا** ﴾ وهي صلاة العصر. ﴿ **لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ** ﴾ (١٣٠) هذا كقوله تعالى: ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ﴾ [الضحى: ٥].

فيا من تريد أن تقري عينا أكثر من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل؛ لتفوزي بخيري الدنيا والآخرة، ولتنالي رضا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وذلك الفوز العظيم.

روى البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: « **إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبَّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا** ».

هذه أعظم نعمة أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يكون راضيا عنا.

ومن أوراد العبادات في الليل: أن من ذهب؛ لينام فليحرص على قراءة

الأذكار.

وإذا انتبه من نومه يفعل ما يلي:

عن عبادة بن الصّامِت، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» رواه البخاري (١١٥٤).

ومن وظائف الليل: ترك السهر أول الليل لغير حاجة.

النبي ﷺ كان يكره السهر، كما ثبت عن أبي برزة الأسلمي «أن النبي ﷺ كَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُؤَخَّرَ الْعِشَاءُ، وَكَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا» رواه البخاري (٥٤٧)، ومُسْلِمٌ (٦٤٧).

«يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا»، أي: قبل صلاة العشاء، «وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا» أي: بعد

صلاة العشاء.

وأثنى ﷺ على قيام نبي الله داود عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وصيامه، فقال:

«أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ

دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا» رواه البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

هذا هدي نبي الله داود عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو الغالب من فعل نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، روى الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (١١٣٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا أَلْفَاهُ السَّحَرُ عِنْدِي إِلَّا نَائِمًا. تَعْنِي: النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٤).

فيكون فيه تقسيم الليل إلى ثلاثة أقسام: النصف الأول نوم وراحة للبدن، وهذا يدل على أن الأنبياء بَشَرٌ ينامون، وأنهم ما كانوا يسهرون الليل كله، حتى العبادة لا تُثْمِيَا الليالي كلها عدا العشر الأخيرة في رمضان، فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يحببها، كما في «الصحيحين» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فسهر الليل كله حتى في العبادة ليس من الهدى النبوي، فكيف بمن يسهر الليالي في ضياع، ولهو، وضحك، ومزاح، ومع الجوالات، وفي غيبة وسخرية، وقيل وقال، وانشغال بعيوب الناس كأنه سالم من العيوب، والعيوب عند الناس فقط، أما هو بريء ما عنده شيء، يشتغل بعيوب الناس؟!!

(١٤) قال الشيخ ابن عثيمين في «فتاوى نور على الدرب» (٢/٨) بترقيم الشاملة: وكذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل ذلك أحياناً، بل الأغلب عليه ذلك، وعلى هذا فنقول: أفضل صلاة الليل ما كان بعد النصف إلى أن يبقى سدس الليل.

هذا مرض من الأمراض، فتمشي الليلة بأوزار ومعاصي كُبَّارًا. فهذا هدي نبينا محمد وهدى نبي الله داود عليهما الصلاة والسلام في الليل وقيامه، وهذا يعرف بعدد الساعات، فمن نام نصف الليل ثم قام ثلثه يستحب له أن ينام السدس الأخير.

فيكون ثلاثة أسداس في الأول، وهو نصف الليل الأول نوم، وسدسان قيام وعبادة، وسدس أخير تكملة النصف الأخير. وهذا يدل على النوم المبكر من بعد صلاة العشاء.

وبعض الناس في أول الليل يشعرون بأنهم استيقظوا، وأما قبل ذلك فكسالى مرهقين، ومن بعد العشاء يأتي النشاط.

وينبغي الحزم في تنظيم الأوقات، وأن نحرص قدر المستطاع، والتقصير حاصل لكن لا بد من مجاهدة، فكان من الهدي النبوي التبكير في النوم، نصف الليل الأول نوم قد تكون خمس ساعات ست ساعات على حسب طول الليل وقصره، ثم يقوم ثلثه نحو ثلاث ساعات أو قريبًا من ذلك، ثم ينام سدسه قدر ساعة، ساعة ونصف، وقد يزيد وقد ينقص حسب ساعات الليل.

وهذا من أدلة تنظيم الأوقات وتجزئة الليل بتقسيم دقيق.

هذا من الأدلة على أهمية الوقت.

والحكمة من النوم في السدس الأخير؛ من أجل استعادة النشاط، وتقوية الجسم، ولئلا يكون على ظاهر الجسم الإرهاق، فهذه النوم تعتبر خفيفة تعيد النشاط.

وهذا من السنة، لكن من قال: سأطبق هذه السنة وأنام في السدس الأخير، لكنه إذا نام السدس الأخير سيستغرق في النوم وتقوته صلاة الفجر في جماعة، وربما خرج الوقت وقت صلاة الفجر وطلعت الشمس، فمثل هذا لا يطبق هذه السنة، وكلُّ على قدر حاله، وهذا تطبيقه يحتاج إلى مجاهدة وتفرغ، وأيضاً همة عالية، وقد يسهل تطبيقه إذا كان رب الأسرة والأولاد والزوجة كلُّهم على هذا الهدي النبوي، ونسأل الله الإعانة.

ومن مضار سهر الليل كله أو أغلبه:

- أنه ينافي حكمة الله، فالله جعل الليل سكناً ينامون فيه ويرتاحون.
- أنه خلاف الهدي النبوي.
- فيه مضيعة للوقت يسهر الليل وسيعوض في النهار، ويأتي آخر الليل وقد صار مرهقاً، فيصلّي صلاة الفجر من غير خشوع ولا حلاوة للعبادة.

• يفوته بكور اليوم، ويُحرم الدعوة النبوية، يقول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٠٠٠) عن جابر رضي الله عنه.

• أن نوم النهار لا يغني عن نوم الليل، حتى لو كان أكثر بأضعاف أضعاف.

• وفيه أضرار صحية وهدمٌ للجسم.

• ويذكرون أن الأطفال نموهم يكون في الليل وقت النوم، ولا سيما في النصف الأول من الليل.

• من أسباب التوتر والانفعال، وضعف التركيز والانتباه.

• سبب للخمول والكسل.

فيا من تشتكين من الكسل، يا من تسهرين، اعلمي أن هذه خسارة عاجلة وآجلة، فعودي نفسك على نوم الليل، وعودي أطفالك على ذلك.

والأخطاء التي تكون عندنا سواء في عدم حسن التصرف في الليل، أو في غيره من أمورنا، ينبغي أن نبادر إلى تعديلها، ينبغي أن نبادر إلى إزالتها، حتى ننتفع بالعلم وبما نتعلم، والعلم يقود إلى الله، وإلى طريق الجنة.

فجاهدي، واهتمّي بالنوم المبكر في الليل ولو ساعتين أو ثلاث ساعات خير كبير، وهذه نعمة على أهل القرى أنهم ينامون مبكرين، لكن بلاد الترف يُحتاج فيها إلى مجاهدة، وحسن ترتيب الوقت، وهمة عالية، والاستعانة بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وتجري الأمور بعد ذلك على خير.

وإننا في هذه الليالي في ليالي الشتاء، فهي نعمة من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ليالي الشتاء تكون طويلة، نسأل الله أن يجعل فيها البركة، تستطيعين أن ترتبي وقتك، وتستطيعين تحفظين، تصلين، تستغفرين، تستطيعين أن تنامي.

والليل يبدأ من وقت غروب الشمس إلى طلوع الفجر، فنستعين بالله بارك الله فيكن ونقدّم لآخرتنا، فالأخرة خير وأبقى، والليالي تمر والأعمار تمشي، والأوقات تذهب.

يَسْرُ الْمَرْءَ مَا ذَهَبَ اللَّيَالِي * وَكَانَ ذَهَابُهُنَّ لَهُ ذَهَابًا

وقال آخر:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقْطَعُهَا * وَكُلَّ يَوْمٍ مَضَى يُدِنِي مِنَ الْأَجَلِ

فلنكن على استعداد حفظكن الله للقاء الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ونجاهد في عمران

أوقاتنا بالخير، ونحرص على استغلال الليل في الخير، وأخذ قسطٍ من النوم.

والنوم ننوي به التقوي على طاعة الله، إذا نوينا بالنوم التقوي على طاعة الله أجزنا، والموفق من وفقه الله.

هذه بعض وظائف الليل وأوراده، أسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن يوفقني وإياكن لكل خير، وأن يجعلنا من أهل الآخرة.

والحمد لله رب العالمين.



تم نشر هذه المحاضرة لله الحمد والمنة.
يوم الثلاثاء الموافق ٩ / من شهر ربيع ثاني / عام ١٤٤٥ للهجرة النبوية
على صاحبها الصلاة والسلام.